عتبات ترجمات معاني القرآن الكريم

– الجزء الثاني –

عبد النبي ذاكر
جامعة بن زهر – أغادير–
المغرب
dak29ma@yahoo.fr

تاريخ ترجمات القرآن[1]

توجد تقريبا في كل اللغات التي ينطق بها المسلمون ترجمات للقرآن. وعادة ما يكون القرآن مرفوقا بالترجمة. فإذا كانت اللغة غير مستوفية تسربت إليها كلمات القرآن، نظرا لغياب المترادفات فيها، بل حتى في اللغات الراقية كالفارسية والتركية تم إدخال الكلمات الدينية العربية المألوفة في العالم الإسلامي، والتي تجمع وحدة الأخوة الإسلامية نحو قبلة واحدة. فحين يكون المفهوم جديدا على متكلمي اللغات يُقبلون على اقتناء اللفظ العربي المعبر عن المفهوم، وذلك بإجماع المجامع كلها، مثل كلمة "قبلة". وحين تكون اللغة قاصرة لا تعدو الترجمة أن تكون شرحا للنص العربي. وقد لا تكون لها صياغة موافقة لقواعد اللغة، ولا صيغة مستقلة قائمة بذاتها. وهذا ما حصل مع الترجمات الأوردية الأولى التي لم تكن غير شروح خالصة.

إن مطمح كل مسلم ومسلمة هو قراءة القرآن بالعربية، وتجويده بالنص العربي. وآمل أن يكون طموحهما هو فهم القرآن، سواء بالعربية أم بلغتهما الأم أم بلغة متطورة يفهمانها. ومن هنا تنبثق الحاجة إلى ترجمات جيدة ومنقحة.

إن الترجمات التي أعرفها في غير اللغات الأوروبية هي: الفارسية والتركية والأوردية والتاملولية[2] ولغة البّاشطو (يستعملها الأفغانيون) والبنغالية والماليزية، وبعض لغات شرق الأرخبيل، وبعض اللغات الإفريقية. وأعتقد أن هناك ترجمة صينية لهجية.

وأول ترجمة أوردية كانت من إنجاز الشاه عبد القادر من ديلهي سنة 1826م. وقد سبقت الإشارة إلى هذا الأخير ضمن المفسرين الهنود.[3] وسرعان ما توالت ترجمات أوردية عديدة ظل بعضها ناقصا. ومن بين الترجمات الكاملة الكثيرة الاستعمال إلى يومنا هذا تلك التي أنجزها الشاه رفيع الدين من دلهي، والشاه أشرف علي التهانوي، والمولى نظير أحمد سنة 1912م. وإني أفضل شخصيا الترجمة الأخيرة. ويُضاف إلى الترجمات السابقة مشروع الترجمة الأوردية التي ينجزها حكيم أحمد شجاع، وهي لم تُنشر بعد.

قبل تطور اللغات الوطنية الأوروبية الحديثة، كانت اللغة الثقافية لأوروبا هي اللاتينية. وحوالي سنة 1143م (القرن السادس للهجرة) تم إنجاز ترجمة لاتينية لدير كْلوني. بيد أنها لم تنشر إلا سنة 1543م بباسل، وكان الناشر هو: بيبْلياندر. وقد تم نقل هذه الترجمة إلى اللغات: الإيطالية والجرمانية والهولاندية. ثم نُشرت ترجمة شفايجر (*Schweigger*) الألمانية بنورمبيرغ (بافاريا) سنة 1616م، وترجمة دو ريير (Du Ryer) الفرنسية بباريس سنة 1647م. كما نشرت الترجمة الروسية بسانت بّيترسبورغ سنة 1776م. ثم ظهرت ترجمة سافاري الفرنسية سنة 1783م. وظهرت ترجمة كازيميرسكي الفرنسية لأول مرة سنة 1840م، وطبعت عدة مرات. ومما حفز الاهتمام الفرنسي بالإسلام احتلال فرنسا للجزائر وشمال إفريقيا. وقد تلت ترجمة شفايجر الجرمانية ترجمة بويسن (*Boysen*) سنة 1773م، وترجمة فال

(*Wahl*) سنة 1828م، ثم الطبعة الأولى لترجمة أولمان (*Ullmann*) سنة 1840م. وأعتقد أن الطريقة الأحمدية بلاهور لها ترجمة حديثة جدا إلى الجرمانية والهولاندية.

وفي سنة 1689م قدم ماراتشي (*Maracci*) ترجمة لاتينية مرفقة بالنص القرآني العربي وبتذييلات من مختلف التفاسير العربية، تمّ انتقاؤها وتجميعها بعناية، حتى تعطي لأوروبا أسوأ انطباع ممكن عن الإسلام. لقد كان ماراتشي واسع الاطلاع، ولاشك أنه استهدف الانتقاص من الإسلام عن طريق شهادات ثُقاة المسلمين أنفسهم. لقد كان ماراتشي نفسه من الذين أقروا بإيمانهم لدى البابا البريء الحادي عشر. ثم إنه أهدى ترجمته إلى سمو الإمبراطور الروماني ليوبّولد الأول. وقد صدّرها بمجلد تمهيدي يحتوي على ما سماه بـ: "تفنيد القرآن".

ولم تكن ترجمة أ. روس الإنجليزية سوى ترجمة لأول ترجمة فرنسية قام بها دو ريي سنة 1647م. وقد تم نشرها سنوات قليلة بعد نشر هذه الأخيرة.

وقد ارتكزت ترجمة جورج صال (George Sale) سنة 1734م على الترجمة اللاتينية التي أنجزها ماراتشي. بل إننا نجد أن ملحوظاته وخطابه الاستهلالي ارتكزا على ماراتشي أساسا. وحيث إن ترجمة ماراتشي قُصد بها النيل من الإسلام في أعين الأوروبيين، فالملاحظ أن ترجمة صال سيُنظر إليها كترجمة نموذجية في العالم الناطق بالإنجليزية. وسيتم طبعها مرات عدة، بل لقد تم إدراجها ضمن السلسلة المسماة: *Chandos Classics*، ثم باركها السيد دونيزون روس (*E. D. Ross*). أما السيد ج.م.رودويل (*J.M. Rodwell*) فقد رتب السور ترتيبا كرونولوجيا رديئا. وقد ظهرت ترجمته لأول مرة سنة 1861م. وعلى الرغم من محاولته أداء اللغة بشكل جيد إلا أن تعليقاته تنمّ عن عقلية قسيس مسيحي، همُّه الأساسي دحض الكتاب بدل إظهار محاسنه.

أما ترجمة بّالمر (*E. H. Palmer*)، التي نشرت أول مرة سنة 1876م، فإنها تعاني من فكرة وجوب نقل القرآن إلى اللغة الدارجة. ولهذا لم يكن لها أن تفلح في تحقيق جمالية أسلوب الأصل العربي وجلاله، لأن هذا الأسلوب بالنسبة له "فظ خشن". ونحن نرى أن ترجمته – بحق – مستهترة وغير متقنة.

إن هذه الأضرار الفادحة التي ارتكبتها هذه الترجمات المنجزة من قبل غير المسلمين وأعداء المسلمين من الكتاب، حملت الكتاب المسلمين على المغامرة داخل حقل الترجمة الإنجليزية. وأول مسلم شرع في ترجمة إنجليزية هو الدكتور محمد عبد العظيم خان من بّاسيالا سنة 1905م. وبدوره نشر ميرزا حيرات من ديلهي ترجمة أخرى سنة 1919م. أما التعليق الذي عزم على نشره في مجلد منفرد كمدخل للترجمة، فلم يتم نشره فيما أعلم.

أما صديقي العزيز نواب عماد الملوك سيد حسين بلجرامي من حيدرأباد، فقد ترجم شيئا من القرآن، بيد أنه لم يتم عمله.

أما الطريقة الأحمدية، فقد اشتغلت هي الأخرى بهذا الحقل. ومعلوم أن القاديان أنجومان نشر ترجمة الحزب الأول سنة 1915م، ولم يضف إلى ذلك شيئا فيما يبدو. وبعد ذلك نشر لاهور أنجومان ترجمة مولاي محمد علي سنة 1917م، وقد أعيد طبعها أكثر من مرة. إنه عمل أكاديمي عزز بتعليقات ومقدمة وفهرست جيد. غير أن إنجليزية النص ضحلة، ولربما لن تقنع الذين يجهلون العربية.

وهناك ترجمتان مسلمتان أخريتان لهما كبير اعتبار، لكنهما نشرتا بدون النص العربي. أولاهما ترجمة حافظ غلام سرْور، نشرت سنة 1930م أو 1929م، وتستحق أن تُعرف أكثر مما هي عليه الآن. لقد زودها بتلخيص جيد للسور حزبا

حزبا، غير أنه أهمل التعليقات على نص الترجمة. وأعتقد أن التعليقات ضرورية لفهم النص فهما شاملا. فكثيرة هي الحالات التي تحبل فيها الكلمات والجمل العربية بمعانٍ ييأس أمامها المترجم اللهم إلا إذا سمح لنفسه بشرح ما يفهمه منها. وثانية الترجمتين المسلمتين ترجمة السيد مارمادوك بّيكثال (*M. Pickthall*)، التي نشرت سنة 1930م. والمترجم مسلم إنجليزي، ورجل أدب، وعالم بالعربية، بيد أنه لم يضف سوى تعليقات قليلة لإنارة النص. لقد كان نقله "حرفيا تقريبا"، بحيث إنه يصعب أن يُنتظر منه إعطاء فكرة كاملة عن كتاب يمكن وصفه – على حد تعبير المترجم نفسه – بكونه: "سنفونية لا يمكن محاكاتها، وأصوات يُفتتن بها الإنسان فتفيض دموعه". إن القبض على شيء من هذه السنفونية في لغة أخرى ربما يكون مستحيلا، وبوقاحة كبيرة انتظرتُ منها ذلك. إننا لا نلوم فنانا حاول القبض في لوحته على شيء من سطوع منظر الربيع البهي. ونظرا للانتشار الواسع للغة الإنجليزية في العالم، **فإن العديد من الناس المهتمين بالإسلام يكونون أفكارهم عن القرآن من خلال الترجمات الإنجليزية**. ومن الجميل أن يأخذ المسلمون المؤهلون زمام المبادرة لتقديم الصورة التي تحددها رؤيتهم العقلية والروحية لأنفسهم.

إن النظام التربوي الهندي توّج الإنجليزية كلغة عامة للثقافة من أجل شعب يبلغ 350 مليونا. ويرى ثمانون مليونا من المسلمين المثقفين أن الإنجليزية هي أكبر وسيط ثقافي للتعبير، اللهم إلا إذا كانوا على علم بالعربية. أما مواطنوهم غير المسلمين فإنهم يحكمون – وعادة ما يظلمون – عقيدتهم بالمادة التي تكون في متناولهم بالإنجليزية. ولذا ينبغي أن نحسّن ونثري هذه المادة بقدر ما نستطيع، ومن وجهات نظر متعددة بقدر الإمكان.

إن بعض الأمم الإسلامية – مثل الأتراك – عزمت على توفير أدبها الديني (وضمنه الكتاب المقدس) في لغتها القومية الخاصة. وحتى يبقوا على اتصال بفكر ووجهات نظر إخوانهم في الإيمان، تقدم اللغة الإنجليزية إمكانات تؤهلها لأن تكون أنسب وسيط. تلك هي الاعتبارات التي حفزتني على الشروع في هذه المهمة الجليلة لتقديم ترجمة إنجليزية للقرآن.

ومن الله ألتمس القوة والنور حتى أتوفق في إسداء هذه الخدمة للإسلام.

تاريخ ترجمة القرآن:[4]

منذ العهد النبوي، تسرب الإسلام إلى الأمم غير العربية، وخاصة لدى النازحين الفرس الذين استوطنوا شرق الجزيرة العربية وجنوبها. قال الفقيه المؤرخ السرخسي (مبسوط. 1، 37): روي أن الفرس كاتبوا سلمان الفارسي بشأن ترجمة السورة الأولى من القرآن إلى الفارسية، ليقرؤونها حتى تلين ألسنتهم ويتعودوا على اللغة العربية. وذكر تاج الشريعة في كتاب: (نهاية حاشية الهداية)، أن سلمان هذا كان من بين المهاجرين، الذين صاحبوا الرسول إلى المدينة، أحال الأمر على النبي ثم قام بعد موافقته بترجمة الحزب الأول من القرآن إلى الفارسية.[5]

في دروسه بالقاهرة عن الجغرافية العربية تحدث جويدي (*Guidi*)[6] عن ترجمة بربرية تمت سنة 127 للهجرة. لكن، لم يبق منها شيء يذكر. ولربما كان هنا سوء تفاهم ما من قبل العالم الإيطالي جويدي.

أشار الجاحظ (المتوفى سنة 255 للهجرة) أن موسى بن سيار الأسواري كان من كبار الوعاظ يفسر القرآن لتلامذته بالفارسية والعربية في الآن ذاته.

وفي كتابه (عجائب الهند والصين) (ص2 - 3) تحدث بوزورك بن شهريار عن ترجمة كاملة للقرآن حوالي سنة 270 للهجرة إلى لغة هندية (السندية أو المولتانية في ما يظهر).

وفي زمن المنصور بن نوح السماني ترجمت جماعة من الفقهاء القرآن إلى الفارسية سنة 345 هجرية، ثم أضافت إليها الترجمة المختصرة لتفسير الطبري. وقد وصلتنا نسخ هذه الترجمة، وهي تنمّ عن تبحر في العربية من قبل المترجمين.[7] وقد ترجمت الجماعة نفسها القرآن إلى التركية وما زالت نسخ منها بلهجتين.

وتوجد بكامبريدج ترجمة فارسية أخرى مجهولة، تعود تقريبا إلى الفترة نفسها، وقد تعرض براون (*Browne*) لوصفها.[8] وقد ترك لنا سوراباداي ترجمة أخرى تعود إلى منتصف القرن الخامس للهجرة.[9] كما بلغتنا اليوم ترجمة كل من الإسفراييني (المتوفى سنة 471 هجرية) والزاهدي المنجزة سنة 519 هجرية.[10] وفي سنة 520 هجرية حرر خواجة عبد الله الأنصاري ترجمة فارسية جديدة مرفقة بتفسير، وهي تُحقق في الوقت الراهن. ومما جاء فيها أن مؤلفها اعتمد 107 من تفاسير أسلافه.

ومن يومها تكاثرت الترجمات في العالم الإسلامي: ففي الأوردية هناك حوالي ثلاث مائة ترجمة، وفي الفارسية ما يناهز مائة ترجمة، ومثلها تقريبا في التركية، إلخ. وسرعان ما اهتم بها غير المسلمين لأهداف جدالية طبعا في أول الأمر. وإذا ما صدقنا مينكانا دو ما نشيستر (*Mingana de Manchester*)،[11] فإن شذرات من كتاب سرياني تضم استشهادات وتفنيدات تخص القرآن، تعود إلى عهد الحجاج بن يوسف (في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة).

وباللاتينية تعود أقدم ترجمة إلى سنة 1143م، وهي لروبيرتوس كيتينينسيس [روبيرت الكيتوني] (*Ketenensis Robertus*). وأجودها ترجمة ماراتشي (*Maracci*) التي طبعت سنة 1698م. وفي سنة 1647م نشر السيد دو ريير (*du Ryer*) ترجمةبالفرنسية. وبالإنجليزية نشر روس (*A. Ross*) ترجمته سنة 1694م. وسنعثر أسفله على لائحة كاملة – في حدود الإمكان – للترجمات إلى اللغات الأوروبية. ففي الفرنسية وحدها هناك ما يناهز أربعين ترجمة، وإليك بعض ملامحها!

فالأقدم – بكل تأكيد – هي الأقل جودة. ومن بين الترجمات الحديثة العهد، تُعتبر ترجمة فاطمة زايدة بمثابة تحريف مصدره بعض الدجالين. لقد ادعت المترجمة أنها مسلمة، فتم لها نشر ترجمتها سنة 1861م بلشبونة. بيد أنه باستثناء السورة الأولى، يُعتبر الباقي خليطا من النصوص القرآنية والنصوص الأجنبية عن القرآن. مثلما أن هناك خلطا بين آيات سورة ما وآيات سورٍ أخرى. بل أكثر من ذلك تمت في هذه الترجمة محاولة التجميع الكرونولوجي للسور (الأول من نوعه في أوروبا؟) ونادرا ما كانت الترجمة حرفية. لكن الأغرب من ذلك هو اسم المترجمة: "فاطمة –زايدة دجاريي– أو داليك– دول دين بنيامين علي أفندي أغا". ومن المحتمل أنه ينبغي قراءته كالآتي: "فاطمة الزاهدة، أي فاطمة الناسكة". وبقية الاسم في لغة تركية رديئة، يعني: "من الأمة السرّية الأبّم فاطمة الزاهدة السيد السيد [كذا مرتين] بنيامين علي". (والواقع أنه لايمكن أن يقال " أفندي أغا"، بل يُذكر أحدهما فقط). ثم ماذا عن بنيامين علي، هل هو يهودي أسلم؟ الواقع أن الملحوظات، بل حتى المقدمة كانت تنافح عن الإسلام. وقد صدرت عن

السيدة فاطمة التي ادعت الإسلام، ونسبت إليها الترجمة، وزعمت أنها على علم باللاتينية والإيطالية.

وتستحق ترجمة كل من سافاري (*Savary*) وكازيميرسكي (*Kasimirski*) وبلاشير (*R. Blachère*) كل تقدير. فالعالمان الأخيران أنجزا عمليهما بدقة ونزاهة. لكن يبقى ما قاما به مجرد إنجاز رائد يفسح المجال لبعض التحسينات. وإليك مثالا أُخذ بالصدفة:

سورة المنافقون الآية الرابعة:

سافاري: (Leur taille est droite et majestueuse).

كازيميرسكي: (Sont comme des soliveaux appuyés contre la muraille).

بلاشير: [12] ((?) on dirait des poutres appuyées).

وترجمتنا نحن: (comme des bûches habillées). وهي ترجمة حرفية تناسب التفسير الإسلامي، وتقدم في الآن ذاته نفس المعنى المجازي الموجود في العربية. وللتذكير نقول إن "مسندة" تعني في بعض السياقات: "appuyées"، مثلما تعني أولئك الذين يرتدون اللباس المسمى "سند"، وهو عبارة عن قميص طويل بسترة. أي بإجمال: اللباس الأنيق المستعمل من قبل أغنياء العرب. وحين شرحه أحد المفسرين المسلمين القدامى بـ "جميل" و"عظيم كالجبال" الخ، فإنه كان يقصد الشيء نفسه، بمعنى: مهيب الطلعة، بهيّ الهندام، لكن ينقصه الذكاء وحب الحقيقة. وباستطاعتنا مضاعفة الأمثلة، غير أن المستقبل كفيل بكشف مدى تقدمنا عن أسلافنا الكرام.

ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم[13]

لا يمكن وضع تقديم للقرآن. وكلمتنا هذه سوف لن تفصح سوى عن الشروط التي أنجز في ظلها هذا العمل، الذي استغرق مني ست عشرة سنة، منها عشر سنوات من الإعداد، وخمس سنوات من العناية الخاصة. فإلى حدود صيف 1970م، حينما كنت بصدد كتابة صفحات تقديمية لترجمة جان كروسجان، لم أكن أمتلك عن القرآن سوى معرفة ضحلة. ومن يومها أخذت في تعميق معرفتي بهذا النص في دروسي بالكوليج دو فرانس، وخاصة منها الدرسان أو الثلاثة دروس الأخيرة، التي شرفها بالحضور حشد كبير أكثر من نصفهم من المسلمين. وهكذا ارتسم المشروع بفضل مبادرة بيير بيرنار مدير منشورات سندباد، وطلبه الودي الملحاح. غير أن الشروع الفعلي بكل معنى الكلمة لم يبدأ سوى في يناير 1982م. لقد راجعت الترجمة مرتين، فحصلت على ثلاث ترجمات متتالية، كل واحدة منها متطورة عن السابقة فيما أعتقد. وقد كان لهذه المراجعة أن تتابع إلى ما لا نهاية، كما يقتضيه التدقيق، لولا أن دفعتني أسباب معقولة لإنهاء عمل ما زال إلى حدود سنة 1987م بعيدا عن غاياته المثالية.

والواقع أنه لا يمكن أن يُنتظر من شخص واحد مجموع الخصائص التي يستلزمها مشروع كهذا من المسؤول عنه. فإلى المعارف الفقه لغوية الجادة، وإلى المعرفة الجيدة بتفسير النص وأسباب النزول، ينضاف شيء من الحدس الروحي، والحس النقدي للتاريخ، والحساسية الأدبية، والقدرة على تمرير شيء من ارتجاج الأصل إلى اللغة الهدف. فماذا يمكن أن يقال عن الجمع بين هذه الوظائف كلها؟ ومن ذا يزعم الطموح إلى ذلك، أو تكون لديه الوقاحة ليطالب غيره بذلك؟ وهل ينبغي تفويض الأمر مستقبلا إلى فرق؟ وهل على كل مترجم جديد

أن يعتذر عن المغامرة أو – على الأصح – عن الانتهاك؟ هذا الانتهاك الذي يُهون من أمره أنه اقتُرف من قبل الكثيرين قبلي. ولقد استطاعت الخدمة التي قدمها بعض المستعربين في المعرفة المتبادلة للحضارات أن تنتصر على الضعف المشترك: ﴿...**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**...﴾ [قرآن].

وشأني شأن السابقين، لست مؤهلا للكمال، ولا أتوفر على زمن لا محدود. إذن هناك أولويات تفرض نفسها، إلا أنها ليست بالضرورة أولويات متماثلة لدى هؤلاء وأولئك. ومع ذلك، فقد كان لي حظ التعامل مع السلسلات المتخصصة، وحظ المحاورة المسترسلة مع النص، سمحت بها فرصة العيش في قرية منزوية. وقد رغبت قراءتي في أن تكون كذلك مواجهة مباشرة مع هذا الكلام القديم والجديد دوما.

ومهما كانت هذه القراءة طموحة، فإنها لم تغفل الإسهام الهائل للتفاسير الإسلامية. صحيح أن التعليقات تنقسم إلى مذاهب متنافسة في الغالب، غير أن الإغراق في إتباع ائتلافها الخصب بالاختلاف يوشك أن يوقع المرء إما في المبالغة الثقيلة بالاختلافات، أو في انتقائية لا تاريخية ومموّهة (*niveleur*). واتقاء لهذا الخطر يمكننا البحث عن ملطف يعتزم أو ينوي القيام بانتقاء شخصي، بالرغم وعلى الرغم من هذه الإسناد.

وبعد، أليس هذا هو ما حاوله المترجمون حتى في حالة تمسكهم بتنسيق رؤى شاملة؟ ولهذا السبب سنكون ملزمين بتخصيصهم بالشكر أو بالنقد، غير أن هذا الأخير ليس هنا مجاله. فلنؤكد فقط أننا مدينون بشيء ما للكل تقريبا، إلا أنني مدين على الأخص لصديقي الفقيد ريجيس بلاشير، الذي استطبت – أيضا بهذه المناسبة – علمه اللغوي وصرامته، دون أن أقاسمه ميوله الوضعي. كما

أنني مدين لترجمة السيد حمزة بوبكر بمقارنات مفيدة مع وجهة نظر إسلامية مستندة إلى تحقيقات على الطريقة الغربية.

وفيما يخص بعض الملاحظات حول عملنا هذا نقول: إن المفردات التي استعملناها لا تخرج عن دائرة معجم روبير، وعن دائرة المعاني التي قدمها. إلا أن هناك أربعة أو خمسة استثناءات: فلكي أترجم "هدى" لم أجد أفضل من كلمة "*guidance*"، وهي بكل تأكيد فرنجليزية، لو لم يرجع معجم أوكسفورد اللفظ إلى الفرنسية القديمة، أو على الأصح إلى بروفانصال. وبالنسبة لـ"كفر" و "كافر" تعتبر كلمات: "*infidélité*" و"*infidèle*" و"*mécréance*" و"*mécréant*" غير مناسبة. فالأصل الاشتقاقي لكلمة (ك.ف.ر) يؤدي معنى "أخفى" و" أبطن" الحقيقة أو الفضل والمزية مثلا، الخ. والكلمات المشتقة من "*dénier*" (*dénégation, déni*، الخ) تؤدي بكل سهولة هذا المفهوم في لغتنا، مع مزية تقديم الفعل والحدث والفاعل في الآن نفسه. وهكذا جازفت بالكلمة المولدة: *dénégateur* (التي سبق وأن قبلها معجم ليتري) باحثا لها عن المزيد من استحقاق كرم معجم روبير أكثر من لفظة: *in - sit*[14] أو لفظة: *superman* !

ولم أذهب بحرية استخدام المفردات أبعد من هذا. تُرى هل قصرت في الاستعمال والتعبير؟ لماذا فضلت كلمة "*associationnistes*" لأحد الزملاء كترجمة للفظة "مشركين" بدل لفظة "*associants*" التي هي ترجمة حرفية؟ بيد أنني لاحظت أن ترجمة كلمة "محسن" بـ"*bel - agissant*" تثير شيئا من التحفظات، على الرغم من أن هذه العبارة تسمح بجمع الصفة والموصوف بالفعل العربي الذي هو من الأسرة نفسها: "إحسان" و"أحسن" اللذان يوحيان بنوع من توهج السلوك الإنساني بالجمال الخالد. فلتعفوني من تتبع هذا الدفاع!

أما عن طريقة الطباعة، فإنها تحترم الآية ولا تجادل في أنها وحدة المعنى المعتادة. غير أن هذه الوحدة تنقسم في غالب الأحيان إلى جمل متمايزة، مما يجعل بعض التغييرات تلحق الضمير، كالالتفات الذي حددت البلاغة العربية أهميته منذ وقت مبكر. وفي المكان الذي أجد فيه هذا التغيير واضحا جدا وضعت خط وصل. ولنعترف بأن هذا معيارا غير موضوعي. وقد يحدث أن يشدد آخر الآية على الوقف معلنا عن دلالة مختلفة عما سبق.وهنا أيضا يحيلنا خط الوصل – في بعض الأحيان – إلى بداية السطر.

ومن شأن هذه الإجراءات إنارة الترجمة لقارئها، دون اتهام الاتصالية المطابقة لنظام النص العربي.كما أن البياضات الموضوعة أحيانا بين المتواليات في ترجمة السور الطويلة لا تعتزم تجزيء النص، بقدر ما تنوي تخفيف النقل عمليا.

وقد أخذنا على عاتقنا مهمة صقل وضوح اللغة الفرنسية بحيل طباعية اعتباطية، وأعترف بذلك. مثلما حرمنا على أنفسنا كسر وحدة اللغة العربية. وعلى كل حال، فإن التطور الحاصل في عرض الفرنسية له قيمة أكبر من الطبع الكثيف الملائم لتهم التفكك.

أن أقول أكثر مما ذكرت معناه محاولة تبرير العمل نفسه، أي تبرير فكرة معينة عن القرآن. وسيلاحظ قرائي أن هذه الترجمة تختلف عن سابقاتها في تركيزها العام على محاولة العودة إلى الاحتماء باتخاذ موقف تفسيري، أكثر مما تختلف عنها في تفاصيل الأداء.

وباتضاح هذا الخيار، يفهم المرء لماذا لم يكن للباحث أن يخون مهنته المتعلقة بدراسة الإسلام المعاصر وركائزه الاجتماعية وآفاقه المستقبلية، وذلك بتكريس مجهودات كبيرة لمشروع استشراقي يضعه في ملتقى اللسانيات والتاريخ

الشرقي والتحليلات المفهومية، حتى لا نقول شيئا عن اللجوء إلى أنثروبولوجيا الأديان. ومن غير الأنسب الوقوف طويلا عند هذه النقطة، فبإمكان المرء أن يعثر على حججي – إن صح اعتبارها كذلك – على الصفحات المعنونة بـ"عند إعادة قراءة القرآن"، التي وُضعت في نهاية المجلد.

والحق يُقال، لم تكن الملحوظات والطبعة ولا الترجمة نفسها واردة لو لم تشهد المخطوطة النور. هذه المهمة التي اقتضت الإعادة ثلاث أو أربع مرات تكفلت بها زوجتي جيوليا. شكرا على هذه المساعدة الهامة، التي تنضاف إليها مساهمة جو المنزل العتيق الذي عشنا به طوال سنوات العسل، في أرض قروية جنوب غرب فرنسا على طريق سان جاك دو كومبّوستيل.

ترجمة أندريه شوراقي لمعاني القرآن الكريم:[15]

ترجمة القرآن التي ننشرها تتلو الترجمات التي أنجزناها للتوراة والنصوص التشريعية الكنَسية الثانية deutérocanoniques والعهد الجديد Nouveau Testament. إنها تستلهم الإشكالية نفسها للترجمة، وروح الانفتاح نفسها، والمناهج نفسها. وهي ضرورية، على حد توكيد ريجيس بلاشير، "**نظرا لاضطراب القارئ غير المتضلع في العربية**".[16]

كل ترجمة، في جوهرها، إشكالية؛ وبالأخص ترجمة القرآن، نص "الوحي الإلهي" الذي حمله جبريل. ومنذ عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، لا أحد تخيل إمكانية نقله إلى لغة أخرى غير "اللسان العربي المبين". ألم يوجَّه في بادئ الأمر إلى أهل مكة ونواحيها.

وبعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية واجه الفقهاء وعلماء الدين ضرورة الترجمات لمصاحبة التقدم الذي أحرزه دينهم. بيد أنهم أدركوا منذ وقت مبكر أن أية "ترجمة" لا يكنها أن تحل محل الأصل المعجز الذي لا يُضاهى، لأن جوهره رباني. ولا يمكن لأية ترجمة إلا أن تكون مجرد تفسير لا غير. وكانت وجهة النظر هذه وراء تأليف تفاسير عديدة للقرآن في بلاد الإسلام.

في تركيا، حوالي سنة 1920، بعد الثورة، وفي مصر سنة 1932 بعد فتوى فقيه أزهري حنفي يدعى: محمد مصطفى المراغي، تم القبول بأن يقرأ مسلم لا يعرف العربية القرآن في ترجمة جيدة رُخِّص له بتلاوتها حتى في صلاته.

وما تم قبوله بالنسبة للمسلم، قُبِل أيضا بالنسبة لغير المسلم. وقد استند المراغي في ذلك على حجة تستند إلى الواقع: إذ لم يكن مفروضا على المسلمين خارج الجزيرة العربية تعلم العربية. وهكذا دافع على فكرة كون الترجمة، على الرغم من أنها ليست كلام الله، إلا أنها على الأقل تنقل معنى هذا الكلام المعجز. وهكذا، تمت ترجمة القرآن منذ فجر الإسلام في أغلب لغات العالم. بدأ ذلك في عهد الخلفاء الراشدين، بترجمة فارسية، ثم أمازيغية berbère وسندية sindi. ومنذ القرون الأولى للإسلام شهدت النور ترجمات عدة إلى التركية والفارسية ولغات الباكستان والهند وآسيا الجنوبية – الشرقية، وكانت في غالب الأحيان مصحوبة بشروحات تستلهم تفسير الطبري (923) والرازي (1209) والبيضاوي (1291) والنسفي (1310). وإلى يومنا هذا ما تزال هذه المصنفات أمهات المصادر في فهم القرآن. وخلال القرنين التاسع عشر والعشرين تُرجِم القرآن إلى عدة لغات إفريقية، بل تُرجِم أيضا إلى اللغتين الصينية واليابانية.

ولم يكتشف الغرب "القرآن" إلا بعد خمسة قرون على ظهوره. بيّير المبجّل (1092م-1156م) صديق الباباوات والملوك، زار طوليدو فاندهش من جلال الإسلام، وفي الآن نفسه ارتاع من هذا المنافس القوي للمسيحية. لقد كانت الحضارة الإسلامية وقتها في أوجها، وخاصة في الأندلس، فقرر الاحتكاك بمصادرها، فطلب من كبير كهنة بّامبّلون (Pampelunes) الإنجليزي روبيرت الكيتوني (إياس روبيروس كيتينينسيس) ترجمة القرآن إلى اللاتينية.

ومنذ سنة 711 كان الإسلام يهدد المسيحية غرب شبه الجزيرة الإيبيرية، ومنذ سنة 718 كان يهددها شرق القسطنطينية. بعدها، زاد المد العثماني لدى المسيحية من استفحال الجدال ضد الإسلام. وما كانت هذه الصراعات الدينية والسياسية لتكون دون تأثير على تاريخ ترجمات القرآن.

أنهى روبيرت الكيتوني أول ترجمة للقرآن في الغرب سنة 1143م. وهي باللاتينية وتوجد مخطوطتها الأصلية بخزانة الأرسونال بباريس. وهي وثيقة جدالية. ولم تكن بدهية "الترجمة خيانة" أكثر دقة مما هي عليه في هذا الإبّان. فلم يبق من إيقاعات القرآن ورنينه ورونقه الشاعري شيء يُذكَر. وكان الهدف هو تسخير هذا النص باعتباره سلاح حرب لتأليب المسيحية على الإسلام، وتبيان أن محمدا صلى الله عليه وسلم "دجال" وأن الإسلام "دجل". وهذا ما أكده ن. دانييل في كتابه: (*الإسلام والغرب، صنع صورة*)، حيث قدح روبيرت الكيتوني زناد فكره في "التهويل أو المبالغة في أمر نص مسالم لمنحه حدة مقيتة أو بذيئة أو إيثار تأويل مغرض بشِعٍ على آخر لائقٍ قريبٍ من الصواب".

وعلى أي، لعبت ترجمة روبيرت الكيتوني للقرآن الدور الذي لعبته الفولغاتا بالنسبة للكتاب المقدس (La Bible)، بحيث شكلت خلال قرون رحِما

لكل ترجمات اللغات الأوروبية. غير أن الفولغاتا كتبها عاشق مولّه بالكتاب القدس، القديس جيروم، الذي عوض نقصه اللغوي بمشاركة وجدانية روحية استطاع بفضلها إنتاج رائعته. وكان هدفه إقناع قرائه المسيحيين أن الأنبياء والرسل كانوا حملة وحي الرب والمسيح. وخلاف ذلك، كُتبت ترجمات معاني القرآن في اللغات الأوروبية بروح التشنيع بشكل مفضوح...

وأول ترجمة بلغة غربية هي التي نشرها أندريا أرّيفابيني Andrea Arrivabene عام 1547م. وهي ضرب من الشرح لترجمة روبيرت الكيتوني، التي أعيدت ترجمتها إلى الألمانية من قِبل سالومون شفايغر Salomon Schweigger، ثم صدرت بترجمة مجهولة المؤلف باللغة الهولندية عام 1641م.

وأقدم ترجمة فرنسية للقرآن أنجزها أندريه دي ريير (André du Ryer)، نشرت سنة 1647م، وأعيد نشرها لأكثر من قرن إلى غاية سنة 1775م. وقد ألهمت الترجمة الفرنسية لهذا النص الترجمات إلى اللغة الإنجليزية (ألكساندر روس Alexander Ross) واللغة الهولندية (غلاز ماكير Glaze Maker) واللغة الألمانية (لانج Lang) واللغة الروسية (بّوسْتْنيكوفPostnikov وفيريوفكين Veryovkin).

وبروح جديدة أنجز لويس ماراتشي (Louis Marracci) سنة 1698م ترجمة لاتينية جديدة للقرآن، أفادت منها ترجمة رينيكسيوس Reiniccius سنة 1721م، كما ترجمها نيريتر (Nerreter) إلى الألمانية. وإلى يومنا هذا أعيدت ترجمة لويس ماراتشي إلى الفرنسية، كما استوحاها مترجون كُثر منهم: دونيز ماسون (Denise Masson) ومونطي (Montet).

ومن أحسن ترجمات القرآن باللغة الإنجليزية تلك التي أنجزها سيل (Sale) سنة 1734م، وفي سنة 1751م أعقبتها ترجمة سافاري Savary الفرنسية، ثم ترجمة بويسن Boysen الألمانية سنة 1773م.

قرأت فرنسا ترجمة دي ريير لمعاني القرآن الكريم في طبعات عدة ما بين سنتي 1647م.1775م، وكذا ترجمة سافاري في ترجمات عدة ما بين سنتي: 1751-1960. وقد حطمت ترجمة كزيميرسكي المستفيدة من ترجمتي ماراتشي Marracci وسيل Sale الرقم القياسي في طبعاتها الممتدة من سنة 1840م إلى يومنا هذا. وقد التمس الناشرون من المترجم الهنغاري كزيميرسكي، الملحق بالسفارة في طهران، مراجعة ترجمة سافاري، ففضل إعادة كتابتها كليةً، شأنها في ذلك شأن كل الترجمات المنجزة في بحري القرن التاسع عشر ومطلع العشرين. ولم يكن همّه الأساسي السير على خطى الأصل العربي. ومن يومها، أعيدت ترجمة معاني القرآن مرات عدة من قبل مونطي (Montet) 1929، وليميش (Laïmèche) 1931، وبيّل (Pesle) والتيجاني 1936، وبلاشير (1949-1950-1966)، ورجاب الله (Rajabalee) (جزر موريس) 1949، وميرسيي (Mercier) 1956، وغْديرة 1957، وحميد الله 1959-1966، ودونيز ماسّون 1967، وسّي حمزة بوبكر 1972، وجان غروجان 1979.

يَعْلم المترجمون جميعهم، مثلما يعلم كل العلماء، كبارا وصغارا، أن القرآن والتوراة la Bible، نصوص تتعذر ترجمتها. ولا ريب، أن هذه الخاصية هي التي حفزت الكثير من الموهوبين على البحث عن المستحيل.

القرآن في الأصل رسالة شفهية وليست مكتوبة. والمعنى الأول للفظ قرآن في معانيه الستين، هو معنى دعاء appeler، فقبل كل شيء القرآن (وحي)

دعوة Appel، نداء "Cri"، كما هو الأصل الاشتقاقي لكلمة "قرأ" في مختلف اللغات السامية. فلفظ "قرأ" أو "تلا" مشتق من المعنى الأول الذي هو شفهي، والذي يعود إلى الفترة التي لم يكن فيها للصوت "النازل من السماء" سند كتابي scripturaire: لقد كانت الدعوة يومها في طريقها إلى التأسيس. فلم تُكتب إلا بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن بين الكلمات التي تشير إلى الوحي: (آيات، كتاب، ذكر، حكمة)، تبقى كلمة قرآن الأشد وضوحا في الإشارة إلى صوت إنسان يدعو لجمع الأحياء بالأموات. الإنسان الذي يتلقى ويُسمِع [يبلّغ] داعي الله بواسطة جبريل يدعى محمد: وحياته مرتبطة جوهريا بالوحي الذي يتلقاه من السماء.

إن القضايا التي يثيرها الوحي المنزل من عند الله، بواسطة الملاك جبريل، على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، غذّت . منذ البداية . تأمل فقهاء الإسلام.

لوحظ أن سور القرآن الأولى لا تشير إلى من يتكلم، ولا إلى مصدر الوحي. ومع تهيؤ الدعوة تأكد أن الوحي منزل من السماء حيث يجلس الله على عرشه.

وهو ما أثار استهزاء المناوئين لهذا الدين الجديد الذين يرون أن الوحي ليس من عند الله: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ (سورة، 16. 103). وهذا الجدال الذي بدأ على عهد محمد صلى الله عليه وسلم بين المسلمين والمشركين واليهود والنصارى امتد على توالى القرون. ويقر أهل السنة أن القرآن من عند الله، أما التفسير فهو من عند النبي صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى إن

هو إلا وحي يوحى، كما أفاد في التفسير من القصص والعبر التي نشرها في شبه الجزيرة العربية الرّبيون والرهبان.[17]

تتابع الوحي من 610 إلى 632. وحسب فقهاء الإسلام تمت كتابة القرآن من قبل الصحابة كما نزل شفويا من السماء في عهد الرسول أو بعيد وفاته. وعلى عهد عثمان (644-656) تم ترتيب السور المائة والأربعة عشر. ولم توضع قواعد تجويده إلا في بحر القرن العاشر: وستضل هذه القضايا مطروحة إلى حين ظهور طبعة نقدية للقرآن كتلك التي أنجزها كيتل- شتوتغارت Kittel-Stuttgartبخصوص التوراة، أو التي أنجزها كل من نيسليNestlé وألان Aland بخصوص العهد الجديد Le Nouveau Testament.

جمع القرآن على عهد الخليفة أبي بكر وعمر وعثمان:

تاريخ النص القرآني معقد جدا. وقد أثار جدلا كثيرا، أفرز مدارس متنافسة. ومن جهتنا نحن، فقد اخترنا الطبعة المصرية لسنة 1923م التي تعتبر حجة في وقتنا الراهن.

أشرنا إلى "اضطراب" القارئ الغربي أمام القرآن، على حد ملاحظة ريجيس بلاشير. إنه يجابه نصا يدحر كل عاداته في التفكير. إن القرآن مقسم إلى 114 سورة لا رابط منطقي ولا كرونولوجي بينها. ولا تعكس عناوين السور سوى جزء يسير من محتواها. وقليلة هي السور التي تعالج موضوعا واحدا كسورة يوسف أو سورة نوح، أو بُنِيت بنية منطقية ما. ولا ترتبط آياتها péricopes إلا برابط الوحي.

الفاتحة أساسية في صلاة المسلم تتكون من سبع آيات، تتصدر سور القرآن المرتبة تقريبا من الأكبر إلى الأصغر. حُدّدت عناوينها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعض العناوين تختلف في الطبعات المصرية والهندية – الباكستانية.(18)

ومع مرور الوقت، اغتنت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم بتأنيب حاد للمشركين من عبادة الأوثان، فأضحى أسلوب السور مضايِقا: جمل قصيرة، وحدات تحكمها إيقاعات لاهثة، وأسجاع تدخل من يتلوها في حالة وجد ناجمة عن الاتساق التام بين شكل القرآن ومضمونه.

تصدى القرآن بقوة متصاعدة للوسط الوثني، معلنا تنزه الله الواحد الأحد ملك يوم الدين: وقد قدم الرسول أمثلة من التاريخ ومن الكتاب المقدس Bible، لكي يصف عواقب الكفر بالله. ومن يكفر بالله وبالقرآن يدخل نار جهنم خالدا فيها أبدا. أما من آمن بالله واتخذ الصراط المستقيم فمأواه الجنة خالدا في النعيم تتلقاه حوريات أبكار.

والترتيبات الكرونولوجية التي تحدثنا عنها باقتضاب لم تكن هي الوحيدة. فهناك ترتيبات غْريم H. Grimme (1892-1895) ووليام موير William Muir(1896) وهيرشفيلد H. Hirschefeld (1902) ، وحديث جدا ترتيب بيل R. Bell (ر.بيل: القرآن، ترجمة وترتيب نقدي للسور، ج1و2، 1937-1939). وباتباع معايير مختلفة، فتحت هذه المحاولات منظورات جديدة تخص كرونولوجيا تنزيل القرآن.

ويكمن تعقيد المسألة في مناهج التحليل الحديث الآخذة في التنوع، مما يحملنا على التحوط الكبير. وكما هو الشأن بالنسبة للكتاب

المقدسBible، على النقد هنا أن يقودنا إلى معرفة عميقة بهذا النص، الذي علينا أن نؤمن بأن الله وحده من يملك سرّه.

وبخصوص لغة القرآن، أبان فقهاء لغة بارزون عددا كبيرا من المفردات المقتبسة من الأمازيغية والقبطية والحبشية واليونانية والهندية والنبطية والفارسية والسودانية والسريانية. **ويندهش عالم الدراسات العبرية من الاتساق العميق بين لغة القرآن والعبرية التوراتية**. وما أكثر الكلمات المستعملة في القرآن التي لا تمنح نسغها إلا لعالم بالكتاب المقدس bibliste متمرس بقراءة العبرية. مثلا: دَرَسَ تعني: درس أو فسّر الكتب، فاطر تعني خالق بالمعنى التوراتي للفظ "رَحِم"، فالق، دون تعداد الكلمات الموحّدة التي لا تحصى بين القرآن والتوراة. وهكذا، **فحين نقرأ عربية القرآن نكتشف بجلاء النصوص العبرية المتولدة من المشكاة نفسها**.

جاء القرآن في نثر موقّع مسجوع، يختلف جذريا عن تقفية الشعر العربي. ولن يفهم القارئ الغربي التكرار الكبير لقصص بعينها، كقصة إبراهيم ويوسف وهود ونوح لوط وصالح وقصص الخلق. أما العربي، شأنه شأن أي سامي، فيسعد بتلك التنويعات التكرارية ويفهمها بشكل مختلف حسب طولها وسياقاتها المختلفة: كل شيء في كلام الله يحمل المسلم على الانخطاف.

للقَسَم بالنهار والليل والتين والزيتون وطور سينين ويوم القيامة له "**جمالية شاعرية نادرة**"(d'une rare beauté poétique). ففي الوقت الذي يصطدم فيه الغربي بالأشياء والوقائع، يرى الشرقي في كل شيء آية. فالأرض والسماء والنجوم والشمس والقمر والمطر والرعد والبرق والنار والماء وكل شيء في الطبيعة آية على الإنسان تفكُّرها وفهمها لاستيعاب حقيقة الله ورسوله.

من بدايته إلى نهايته تتخلل القرآن نصوص حكايات توراتية، كقصة خلق السماوات والأرض في ستة أيام، واستواء الله على العرش الواردة أيضا في الفصول الأولى من سفر التكوين:
(103; 25.59; 32.4; 9.129; 13.2; 20.5; 21.22)

قارئ التوراة سيتعرف على Elohîms تحت لفظ الله. ولن نفاجأ بوجود أبطال التوراة في القرآن كآدم ونوح ولوط وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإلياس وموسى وهارون وفرعون وداود وسليمان ويونس وأيوب وهامان وهود وصالح وشعيب ولقمان وذو الكفل ذو القرنين وإدريس.

وكما هو الشأن بالنسبة للتوراة عند بني إسرائيل والأناجيل عند المسيحيين، يحتل القرآن مكانة مركزية في حياة المسلمين وفكرهم. فالوحي عموما والكتاب المنزل، في الإسلام هو نور الله على الأرض ينير الظلمات.

وقد استطاع الإسلام الحفاظ على شفوية القرآن الذي هو وحي مقروء (قراءة) قبل أن يكون كتابة، وحي منزل ما بين سنة 610 و632، خلال اثنين وعشرين سنة، جاء على لسان النبي بوحي من الله، وما يزال في عربيته بأصوات المؤمنين.

والرسالة الأصلية، كما سمعها الصحابة رضوان الله عليهم، حفظتها ذاكرتهم في حياة الرسول، وما تزال تُنقل بصيغتها الشفوية إلى يومنا هذا في دار الإسلام. وهذه الشفوية التي اختفت في اليهودية والمسيحية، بقيت أساسية في الإسلام، بينما تبقى الكتابة بالنسبة لليهود والمسيحيين شيئا جوهريا، أما في الإسلام فهي مجرد عامل مساعد على التذكر، خاضع للتواتر الشفوي الذي لم ينقطع منذ وفاة الرسول إلى يوم الناس هذا. والطبعة الكلاسيكية للقرآن أنجزت في مصر في السنوات العشرين من القرن العشرين، انطلاقا من التواتر الشفوي

والقراءات التي تسنده أكثر مما تسنده أقدم مخطوطات القرآن. ولم يكن الدكتور محمود عزاب، أستاذ علوم القرآن واللغات السامية بجامعة الأزهر، بحاجة – وهو يراجع ترجمتي – إلى قرآن مكتوب، بل هو نفسه – حسب إخوانه في الدين – قرآن حي.

وقد حوفظ على القرآن مرتّلا (شفويا) من قبل **القراء**، بل حتى الأميين يحفظون أجزاء منه عن ظهر قلب، يتلونها في صلاتهم بورع كبير. فالقرآن بالنسب للمسلمين (كلام) الله، ومن هنا أهميته الأساسية.

ومنذ عصر هارون الرشيد(809-766) حاول الفقهاء تبيان العلاقة بين اللوح المحفوظ والقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ منذ القرن التاسع، ناقش المعتزلة والحنابلة هذه القضية حتى اللهاث... وفقد الحياة. دافع ابن حنبل (855-780) عن فكرة أن القرآن جزء من علم الله، وهو غير مخلوق. وهكذا ظهر الجدال الكلامي بين المدافعين عن فكرة أن القرآن خالد غير مخلوق، وبين المدافعين عن فكرة خلق القرآن: "فالله لم يتكلم ولا يتكلم". والقرآن عندهم جميعا (مُعْجِز). وإعجازه في نظر معاصري محمد صلى الله عليه وسلم هو الدليل القاطع على كمال الرسالة وصدقها. وهذه الأفكار تغذي تأمل المسلمين وطبيعة حياتهم.

لا يتحرج اليهودي ولا المسيحي من وضع نسخة من التوراة أو من العهد الجديد بين يدي المسلم. لكن العكس غير صحيح دائما: ففي نظر بعض المسلمين لمس الكافر للقرآن تدنيس للمقدس. فإلى عهد قريب، حضرت بنيو دلهي مؤتمرا عن الديانات من أجل السلام، وتأمل بعضهم معي طبعة حديثة قدّمت لي عن القرآن نُشرت بالاتحاد السوفياتي، وهي إحدى الطبعات الجميلة،

فيما بدا لي. فحاولت لمسها لتسجيل إحالتها بدقة، فسحبها مني الإمام الباكستاني الذي يمسكها، حتى لا أدنسها. وهذا يعني مدى الإجلال الذي ينبغي للمترجم والمفسِّر الحديث أن يكنه لهذه الآراء.

أصبح القرآن المصدر الأول لشريعة المسلمين وأصول دينهم، أما لغته وخطه فقد انتشرتا خارج مهده الجغرافي بشبه الجزيرة العربية. وقد تولّدت عن هذا الدين حضارة جديدة، ولّدت قيما وعلوما وآثار فنية جديد، أغنت التراث الإنساني المشترك. والجرأة على تقديم ترجمتنا هذه مع التفسير تندرج في سياق ترجمتنا للتوراة والعهد الجديد. ونظرا لازديادي ببلاد إسلامية هي عين تيموشينت Aïn-Témouchent بالجزائر، كان حضور القرآن بالنسبة لي ملموسا سواء في قريتي أم في شارعي. فأغنى فكري وغذى فضولي منذ طفولتي، والعديد من معلميَ المسلمين قاسموني إعجابهم مذ صرت يافعا.

يقع وحي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ما حدَّثت به في غير ما مناسبة، في المشكاة نفسها التي تقع فيها التوراة. **وفي بعض المناحي تقترب لغة القرآن نفسها اقترابا شديدا من العبرية التوراتية أكثر من اقترابها من العربية المعاصرة.** ومن وجهة النظر هذه، لا يخلو من أهمية الإقدام في أيامنا هذه على ترجمة جديدة لكتاب خالد ذي أهمية كونية تربطنا به جذور واحدة.

وكثيرا ما طرح علي مسيحيون ويهود السؤال التالي: بما أن التوراة والعهد الجديد موجودان، فلِمَ القرآن؟ يوجد الجواب عن هذا السؤال في التاريخ. فحين ظهر محمد، كانت اليهودية والمسيحية غارقتان في أزمة في العالم قاطبة، وعلى الأخص في شبه الجزيرة العربية. والقبائل اليهودية والنصرانية الصغيرة المنافسة بمكة أو المدينة بعيدة كل البعد عن تمثيل القيم السامية لديانتيهما. لقد أتى اليهود على

إنهاء كتابة التلمود في فلسطين وبلاد ما بين النهرين. وبالكاد تركت لهم محن الخروج Exil منذ القرن الأول بعض القوة للصمود، والانكفاء على ذواتهم لحماية جذورهم، والتحصن ضد الشرك الغالب في شبه الجزيرة العربية، وضد إغراء المسيحية.

بوحي من الله بدأت ملحمة لا نظير لها في اثنتي عشرة سنة، وجاء ثالث الأديان التوحيدية.

وعلى قارئ القرآن أن ينسى المشارق والمغارب ليختلط بحشد الحجيج، فارغا من نفسه، مفعما بوحي السماء. (أندريه شوراقي– القدس، ربيع 1990).

ترجمة أحمد جسوس لمعاني القرآن الكريم[19]

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)﴾ سورة الشعراء/192-195.

القرآن نص مقدس، نزل بلسان عربي مبين. يذكّر بذلك الكلام الرباني قصدا غير ما مرة لتوكيد خاصيته الأصيلة الأولى، ومقصده الأول، وإشعاعه وكماله.

تحديدا، تستحيل ترجمة ما عبر عنه الله بطريقة معجزة بألفاظ لا مثيل لها في الدقة، وبغنائية نادرة.

لا أحد يستطيع التمكن من جلال العبارة، ولا حتى تقليد تقليدها، أو تقليد البهاء الأخاذ للمثل الرباني في تجلياته الأشد اختلافا وصفاء وسموا.

وهنا، أكثر منه في أي مكان آخر، يحتفظ المثل الإيطالي: "الترجمة خيانة"(traduttore, traditore) بقيمته كلها، وليست هذه طبعا طريقة اعتذار، وإنما هي طريقة توكيد الصعوبة الحقيقية لنقل معنى وشكل الوحي الإلهي المنزل بلسان عربي مبين.

وقد حاول كبار الكتاب التعبير عن هذا الوحي المعجز بلسانهم حتى يسهموا في التعريف بالإسلام خارج حدوده الأصلية. ص5

وبذلك كان لهم فضل نشر إحدى أروع الديانات التوحيدية المنتشرة في العالم، بترجمات مختلفة أمينة قدر الإمكان.

وقد تمخضت عبقرية كتاب آخرين عن تحقير هذا الوحي القرآني الجليل الذي يؤلف بين قلوب خُمُس سكان المعمور في العديد من الأقطار. وهذا، في حقيقة الأمر، تنصل من الاحترام والتقدير الذي ينبغي أن يكنَّه كل إنسان لفضائل الخلق الديني والاجتماعي – الركن الركين للتفاهم بين بني البشر.

وأخيرا هناك ترجمات يطبعها الانحياز، على اعتبار انتماء أصحابها لمذهب آخر، يظهِر الخاصية السلبية لمقارنة غير ضرورية بأسلوب متحذلقٍ مطنِب يقلّل من خصائص الرسالة القرآنية التي لا تقبل الجدال. ومثل هذه الأحكام، مهما بدت دقيقة، فهي ردٌّ على أصحابها؛ لأنها مناقضة للعقيدة الصحيحة.

علاوة على ما سبق، يمكن القول إن روعة القرآن تكمن، بالإضافة إلى التعاليم المتنوعة التي أتى بها للإنسان، في الشاعرية المتضوعة منه. فالأذن تستلذ السجع الخصب الذي يطبعه، كما تستطيب إيقاعه المنتظم والمتناسق.

وتكمن القوة التعبيرية للقرآن في لحن رخيم رتيب له سحر لا يوصف حينما يرتَّل.

وهذا المظهر بالذات، هو ما حاولنا تقديمه، دون أن ندعي بلوغه. وما محاولتنا هذه سوى إضافة متواضعة لا تطمح إلى غير مساعدة الناطق بالفرنسية على فهم القرآن في ترجمته الجديدة الموسومة قليلا بهذه الخاصية الموسيقية التي تشكل سِحره".

هوامش

26- النص مترجم عن المقدمة التي صدّر بها عبد الله يوسف علي ترجمته الإنجليزية للقرآن الكريم.

27- اللغة التاملية: لغة التموليين في جنوب الهند.

28- انظر الجزء الخاص بمفسري القرآن في مقدمة المترجم.

29- النص مترجم عن المقدمة التي صدر بها محمد حميد الله ترجمته لمعاني القرآن إلى الفرنسية، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط11، 1981.

30- طُبعت في الهند من قبل عبد الحي اللخنوي على حاشية الهداية (ديلهي، 1915، ص86، ن.1) أنظر باب الصلاة. وقد رجع إليه فريد وجدي أيضا في كتابه: (الأدلة العلمية على جواز ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية) ص58، غير أنه لم يشر إلى اسم المؤلف، كما أخطأ في عنوان الكتاب، مما جعل من الصعب التعرف عليه.

31- جويدي: محاضرات أدبيات الجغرافية (دروس بجامعة القاهرة)، ص66.

32- البيان والتبيين، ج1، ص139.

33- جْراس (Jras)، لندن، 1894، ص417 - 524.

34- سْطوري (Storey)، الأدب الفارسي، ج1.

35- المرجع السابق، ص4.

36- ترجمة سريانية قديمة للقرآن، مانشيستر، 1925.أكد ديونيسيوس بار الصليبي المتوفى سنة 1171م أن ترجمة القرآن إلى السريانية تمت على عهد الوالي الحجاج في خلافة عبد الملك.

37- في الطبعة الجديدة لترجمته حذف بلاشير علامة الإستفهام، ولكي يدافع عن نفسه أضاف وجهة نظر بعض المؤلفين القدماء، مهملا وجهة نظر المترجمين الآخرين. والحكم للقراء.

38- النص مترجم عن مقدمة ترجمة جاك بيرك لمعاني القرآن الصادرة عن دار سندباد بباريس سنة 1991م.

Le Coran: essai de traduction de l'arabe annoté et suivi d'une étude exégétique, Paris, 1991, révisée en 1995, Albin Michel, «La Bibliothèque spirituelle», 844 p.

39- *sit - in*: كلمة إنجليزية تعني القعود الجماعي على الأرض. وهو شكل من أشكال الإضراب غير العنيف.

40- النص مترجم عن مقدمة أندريه شوراقي لترجمة معاني القرآن:

André Chouraqui: *Al-Qur'ân, Le Coran, L'appel*, 1990, 1440 p.

وقد راجع هذه الترجمة د. محمود عزاب محمد، أستاذ اللغات السامية والقرآن بجامعة الأزهر بالقاهرة، ور.بّ. لامبير R. P. Pierre Lambert . كما أفادت الترجمة من نصائح البروفسور روجير أرنالديز Roger Arnaldez، وكذا من ترجمات وتفاسير النص الأصلي.

وساهم في إعداد هذه الطبعة: المستشرق جان-كلود فْرير MM. Jean-Claude Frère والكاتب برونو لاغرانج Bruno Lagrange، ومحافظ القسم الإسلامي بالمكتبة الوطنية إيف ثورافال Yves Thoraval.

وبما أنها كتبت في القدس، فقد أفادت من إنارات المتخصصين في علوم القرآن ببيروت والقاهرة والإسكندرية وتونس وورغلة والجزائر ووهران وتلمسان ومراكش وفاس والرباط والدار البيضاء.

41- Régis Blachère: *Introduction au Coran*, Paris, 1977, pp. 274-277.

42- بعد المحاولات المتكررة لشوراقي في التأكيد على إفادة القرآن من قصص الربيين والرهبان، تناول قضية "الآيات الشيطانية" التي أسالت حبرا كثيرا، بحكم أنها من وحي الشيطان الذي تدخل في الوحي خاصة في ما يتعلق باللات والعزى ومناة. وهو في كل ذلك يريد أن يساوي بين القرآن وبين التوراة في التحريف.

43- بعد سرده لقضية اختلاف عناوين السور، تناول شوراقي مسألة الترتيب الكرونولوجي للسور الذي أقدم عليها المستشرقون: الترتيب الكرونولوجي للسور، 1884 ج. ويل G. Weil، وقد اتبع نولدكيه Th. Nöldeke وشقاليه F. Schwally ترتيبا مخالفا سنة 1860، سرعان ما شكك فيه بلاشير R. Blachère سنة 1947، 1949-1950 و1966.

44- النص مترجم عن مقدمة أحمد جسوس لمعاني القرآن الكريم:

Le Coran ou Les Versets Magnifiques. Essai d'interprétation; Traduit par: Ahmed Guessous, Afrique Orient, Casablanca, Maroc, 2000 .